

التعايش السلمي عند السيد السيستاني دراسة في «النتائج الخارجية»

م.م عقيل فالح سلمان*

م.م كاظم حميد كاظم**

جامعة الامام جعفر الصادق.ع.
*aqeel_aljanabi@vet.uoqa-
sim.edu.iq
**Kadhim.hameed@sadiq.
edu.iq

ملخص :

إنَّ مرجعية السيد السيستاني اخذت تلعب دوراً كبيراً في التعايش السلمي، وذلك يظهر جلياً في الكثير من الرؤى والاهداف التي تقوم بها داخل المجتمع العراقي، وقد اثبتت المدة التي سيطر بها تنظيم داعش الإرهابي على جزء من الأراضي العراقية ذلك جلياً، من قيام المرجعية الدينية بدور بناء من خلال اذرعها الكثيرة، التي أسهمت في تقديمها الكثير من الخدمات لأبناء المناطق التي يسيطر عليها داعش، لم تكتف المرجعية في ايواء العوائل وانما ساهمت في تقديم المؤن والمساعدات في مناطق القتال.

لايتوقف دورها عند هذا الحد وانما كان للمرجعية دور أيضاً في بناء المستشفيات والمراكز الطبية في المناطق العراقية كافة وعلى حد سواء دون تفريق بين قومية او مذهب لأي شخص كان، وانما كان هدف التعايش السلمي البناء هو الشغل الشاغل والهدف المنشود.

كلمات مفتاحية : التعايش السلمي، السيد السيستاني، النتائج الخارجية

Peaceful Coexistence at Saeyd Al-Sistani, a study in "External Results"

Asst. Inst. Aqeel Falih Selman

Asst. Inst. Kadhum Hameed Kadhum

Imam Jaffar AlSadiq (PBUH) University

ABSTRACT

The authority of Saeyd Al-Sistani has played a major role in peaceful coexistence, and this is evident through many visions and goals that it carries out within Iraqi society. The period during which the terrorist organization ISIS controlled part of the Iraqi lands proved this clearly, through the establishment of the religious authority and a constructive role by its many arms, which contributed to providing a lot of services to the people of the areas controlled by ISIS. The Sistani Reference was not satisfied with sheltering families, but rather it contributed to providing supplies and aid in combat areas.

Its role does not stop at this point, It has a role in building hospitals and medical centers in all Iraqi regions alike without distinction between nationality or sect of any person, so constructive peaceful coexistence is its main concern and its desired goal.

KEYWORDS: peaceful coexistence, Saeyd Al-Sistani, external results.

المقدمة

إنَّ التعايش مبدأً أساسياً للحفاظ على التنوع الثقافي، هذا الأخير لا يتأتى إلا بتوفير شروط أساسية تجعل من هذا المبدأ فعالاً وناجحاً، ويفسح مجال الحوار وثقافة الفهم، وتقبل الآخر في ظل تجاذب لا تنافر وفي اختلاف لا خلاف، سيما إذا كان هذا التعايش السلمي داخلياً، أو حتى خارجي، وقد سطرت مرجعية السيد السيستاني أبهى صور التعايش السلمي الداخلي وحتى الخارجي، في ظل وجود طوائف وقوميات كثيرة.

كما لم يتوقف دور المرجعية الدينية على غرس التعايش بين أبناء الشعب العراقي بمختلف طوائفه، انطلاقاً من الهوية والوحدة الوطنية والانتماء وغيرها، وإنما ذهبت أبعد من ذلك من دورها في رسم صور من المودة والاخوة بين أبناء الشعوب، بمختلف تسمياتها، وقد ترجم ذلك من المساعدات الكثيرة التي أرسلتها المرجعية الدينية الى

سوريا وتركيا بفعل الزلزال الذي ضرب البلدين، وغيرها من المواقف التي ستعرف عليها تباعاً.

أهمية الدراسة

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على البعد البنيوي للتعايش السلمي الذي تقوم به المرجعية الدينية الذي أصبح مثلاً يحتذى به، فضلاً عن أنَّ هذا الدور لم يكن فقط على مستوى العراق فحسب وإنما على صعيد الدول المجاورة، وما تقديمه من مساعدات لهذه الدول.

إشكالية الدراسة

تتمحور إشكالية الدراسة حول التساؤلات الآتية:

1. ماهو التعايش السلمي ؟
2. ماهو دور مرجعية السيد السيستاني على الصعيد الداخلي والخارجي ؟

فرضية الدراسة

إنَّ فرضية الدراسة تنطلق من فرضية مفادها «إنَّ مرجعية السيد السيستاني سطرت صوراً معبرة عن التعايش السلمي سواء كان داخلياً أو خارجياً».

منهجية البحث

تم استخدام المنهج الوصفي لدراسة الظواهر أو المشكلات العلمية والقيام بالوصف بطريقة علمية، ومن ثم الوصول إلى تفسيرات منطقية لها دلائل وبراهين.

التمهيد: مفهوم التعايش السلمي

جاء في التعايش السلمي بأنَّه مشتق من: «العيش، الحياة، ... وعاشه أي عاش معه، والعيشة ضرب من العيش، يقال: عاش عيشة صدق وعيشة سوء». وفي المعجم الوسيط «تعايشوا: عاشوا على الألفة والمودة. ومنه: التعايش السلمي. والعيش: معناه الحياة. وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل⁽¹⁾.

المقصود بالتعايش هو تحسين مستوى العلاقة بين شعوب أو

(1) ابن منظور، لسان العرب، ط3، ج6، دار صادر، بيروت، 1994، ص321.

طوائف، وربما تكون أقليات دينية، ويُعنى بالقضايا المجتمعية كالإنماء، والاقتصاد، والسلام، وأوضاع المهجرين واللاجئين ونحو ذلك، ومن أمثلة هذا اللون من الحوار: (الحوار العربي الأوروبي) و (حوار الشمال والجنوب)، وقد يسمي البعض هذا النوع (التسامح)⁽²⁾.

التعايش هو تحسين مستوى العلاقة بين شعوب أو طوائف، وربما تكون أقليات دينية،

وقد بدأ رواج هذا المصطلح مع ظهور الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية، ويحمل هذا المصطلح معانٍ عدة، وهي على ثلاثة مستويات⁽³⁾:

المستوى الأول: سياسي، أيديولوجي، ويعني الحد من الصراع، أو ترويض الخلاف العقائدي بين المعسكرين أو التحكم في إدارة الصراع، بما يفتح قنوات للاتصال بين الطرفين.
المستوى الثاني: اقتصادي، يرمز إلى علاقات التعاون بين الحكومات والشعوب، فيما له صلة بالمسائل القانونية والاقتصادية والتجارية.

(2) أحمد عرفة أحمد، التسامح الإسلامي ودوره في التعايش السلمي بين أبناء الوطن، دار التعليم الجامعي، عمان، 2020، ص 188

(3) إبراهيم صقر إسماعيل الزعيم، التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين في بيت المقدس ما بين 1897-1994، الناشر أي كتاب، لندن، 2023، ص 28.

المستوى الثالث: ديني وثقافي وحضاري، وهو الأحدث، ويشمل تحديداً معنى التعايش الديني، أو التعايش الحضاري. ويعني أن تلتقي إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام في العالم، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعاون.

كما أوجد الإسلام سمات مشتركة للتعايش بين الأديان سعى الإسلام إلى إيجاد قواسم مشتركة بين الأديان، والانطلاق منها نحو الحوار والتعايش السلمي والأمان الاجتماعي؛ فجعل التوحيد هو الأساس المشترك بين الأديان كافة؛ وكذلك دعا إلى سمو الأخلاق وحسن التعاون بين الأفراد والدول⁽⁴⁾؛ وظهر ذلك في قوله تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَةٌ أَفْهَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ) (النساء، الآية: 171).

التعايش السلمي ليس مشكلة جديدة في عالمنا، فلقد شهد

(4) جمال سند، وثيقة الأخوة الإنسانية نحو تعايش سلمي وعالم خال من الصراعات، نشر زاوية معرفة، 2023، ص 31.

التاريخ تجربتين مماثلتين هما الاتفاق الذي أبرم بعد قرون من الصراع والمنازعات بين الإسلام والمسيحية، ثم بين المذهبين الكاثوليكي والبروتستانتي بعد حرب استمرت مائة عام وانتهت بمعاهدة « وستفاليا » عام ١٦٤٨، فلقد اكتسحت الدعوة الجديدة التي انبثقت من قلب الصحراء العربية أجزاء كبيرة من المناطق التاريخية للعالم المسيحي بما ذلك من سورية ومصر والساحل الإفريقي واسبانيا وعبر البيرينيز متجهة إلى فرنسا. وهناك قابلت الصدمة الأولى في بواتيه (٧٣٢ ميلادية) على أيدي شارل مارتل ومنذ ذلك الحين والعالم المسيحي يتقبل على مضض مبدأ التعايش السلمي برغم تجدد النزاع - بعد ذلك ثلاثمائة عام - من أجل حرية الأماكن المقدسة وفق أسلوب الصليبيين. ولكن خطأ جغرافيا فاصلا كان قد تحدد وسار الإسلام والمسيحية على سياسة من التعايش السلمي قانعين بهجمات كل منهما على مناطق الآخر المحدودة، فخرج الإسلام من اسبانيا بالطريقة التي غادرت بها المسيحية سورية على يد صلاح الدين وخلفائه⁽⁵⁾.

المبحث الاول: التطبيقات العملية للتعايش السلمي على

المستوى الداخلي

لعبت المرجعية الدينية والمتمثلة بالسيد علي السيستاني (دام ظله) الكثير من الأدوار في الساحة السياسية العراقية سيما بعد عام 2003 على مواضيع متعددة، لاسيما موضوع التعايش السلمي الذي عد من اهم المواضيع التي تلامس واقع المجتمع العراقي، على الرغم من ان اغلب مراجع النجف الاشرف بعد عام ٢٠٠٣ يؤمنون بالخط التقليدي، الا إنَّ القدر المتيقن في سلوكهم وخصوصاً السيد السيستاني كشف انه ثمة ميلاً نحو المجتمع بصورة كبيرة، فكانت تصريحات المرجع السيستاني واضحة فيما الكثير من القضايا الهامة التي تهم المجتمع وفيما يخص الحرب على العراق في ٢٠٠٣ معلناً عن تحفظه الصريح ورفضه الاحتلال ودعا الى تشكيل لجان تتولى رعاية الشؤون العامة على مستوى المحافظات والاقضية والنواحي،

(5) أبادوراي، استخدام القوة في العلاقات الدولية، ترجمة: عبد الله حسين، ناشرو وكالة الصحافة العربية، القاهرة، 2020، ص 63.

اي كان يريد سحب اي سلطة او شرعية من الاحتلال في ادارة شؤون الناس وكان يعمل على تمكين العراقيين في ذلك⁽⁶⁾، كما كانت للمرجعية الدينية توجهات واهداف أخرى في سبيل المحافظة على المجتمع وتماسكه واحلال التعايش السلمي فيه، وستناول عدداً من المواقف التي اخذت تعمل عليها المرجعية من اجل التعايش السلمي وهي كالآتي:

المطلب الأول: الحفاظ على الهوية الوطنية

فالمرجعية الدينية ودورها في حفظ التعايش السلمي الأهلي بين طوائف وشرائع المجتمع العراقي وبكافة ألوان الطيف المجتمعي وتأكيدا على اللحمة الوطنية في ارساء أسس التعايش السلمي بصورة عملية وليست قولية إنشائية، كما عملت المرجعية الرشيدة على استقطاب جميع شرائح المجتمع العراقي واستقبالهم لاسيما من ممثلي المرجعية الدينية في أروقة العتبات المقدسة واحتضان النازحين والمهجرين من كلا الطائفتين دون تمييز ليس لأسباب انسانية فقط بل لأسباب وطنية وعدم التفريق ما بين شريحة واخرى مادام الكل ينطوي تحت خيمة وطن اسمه العراق فكانت ومازالت وما تزال المرجعية الدينية هي صمام الأمان للمشهد العراقي الذي ينوء بما لا يُعد ولا يحصى فالمرجعية الدينية الجدار الواقى يحمى العراقيين من التشرد⁽⁷⁾.

أكدت المرجعية الدينية على ضرورة التعايش الأخوي السلمي بين الجميع للحفاظ على الهوية الوطنية وبذل كل الجهود لتحقيق وحدة هذا الشعب وتماسكه، كما جاء في خطبة الجمعة (٢٣ / ٢ / ٢٠٠٦) في الصحن الحسيني الشريف مانصه: أن المرجعية الدينية العليا وعلى لسان مكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظلّه الوارف) تؤكد على الجميع أن لا يبلغ هذا المصاب الجلل مبلغاً يجبرهم الى اتخاذ ردود أفعالهم قد تجر البلاد

(6) فراس عبد الكريم، دور المرجعية في حفظ وترشيد العملية السياسية في العراق بعد عام 2003، مجلة قضايا سياسية، جامعة النهرين، عدد 62، 2020، ص142.

المرجعية الدينية هي صمام الأمان للمشهد العراقي الذي ينوء بما لا يُعد ولا يحصى فالمرجعية الدينية الجدار الواقى يحمى العراقيين من التشرد

(7) منتصر حسين، السلم الأهلي في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 2014، ص141.

الى فتنة طائفية وتحقيق ما يريده أعداء هذا الشعب من إيقاع الاقتتال بين الشيعة والسنة وإغراق البلاد في بحار من الدماء ومن ثم جرّها الى دوامة الفوضى وعدم الاستقرار⁽⁸⁾.

كما مثلت أزمة اقليم كردستان عام 2017 خطراً مباشراً على وحدة الدولة العراقية سياسياً واجتماعياً وامنياً، ونتيجة تصاعد الخلافات والتراشق الاعلامي كان لمرجعية السيد السيستاني دور مهم في استكمال اسهاماتها الوحدوية والحفاظ على النسيج الاجتماعي للشعب العراقي، وبعد أن وصلت الأمور إلى مراحل متقدمة وقيام حكومة اقليم كردستان على اجراء الاستفتاء المخالف للدستور، وما صاحب ذلك من ردود فعل شعبية وسياسية ودولية فضلاً عن اجراءات حكومية قانونية لحماية، وحيال ذلك الخطر تدخل المرجع السيستاني بشكل مباشر في دعوته إلى الوحدة والاحتكام للدستور، إذ قال ممثل المرجع السيستاني رداً على تداعيات الانفصال "أن العراق وما كاد أن يتجاوز محنة الارهاب الداعشي بفضل تضحيات رجال القوات المسلحة والقوى المساندة لها حتى اصبح في مواجهة محنة جديدة ومحاولة تقسيم البلاد واقتطاع شمالها عبر اقامة دولة مستقلة حيث تمت منذ ال ايام الأولى تلك الخطوات بالرغم من كل الجهود والمسااعي لثني سلطة الاقليم عن المضي في هذا المسار في إشارة إلى الاستفتاء على الانفصال الذي نظمته سلطات اقليم كردستان الاثنين الماضي"⁽⁹⁾.

وأضاف ممثل المرجع السيستاني أن المرجعية الشيعية العليا التي طالما أكدت على ضرورة وحدة العراق شعباً وارضاً وعملت ما في وسعها لنبذ الطائفية والعنصرية وتحقيق التساوي بين جميع مكونات البلاد تدعو جميع الأطراف إلى الالتزام بالدستور العراقي نصاً وروحاً واللجوء في النزاعات بين الحكومتين المركزية وفي الاقليم إلى المحكمة الاتحادية العليا والالتزام بقراراتها واحكامها. وحذر ممثل المرجع السيستاني "من أن التوجه إلى الانفصال والتقسيم وجعله أمراً واقعاً سيؤدي إلى ردود افعال داخلية وخارجية غير محمودة

(8) حسين عليوي، دور المرجعية الدينية في تأصيل الهوية الوطنية بعد عام 2003، مجلة السبط، مركز دراسات كربلاء، العتبة الحسينية، عدد 5، 2022، ص 26.

(9) احمد الصافي، وكيل المرجع السيستاني، خطبة الجمعة، كربلاء المقدسة، 2017/9/16.

وعواقب خطيرة تمس بالدرجة الأولى الأخوة الأكراد وتفسح المجال لتدخل العديد من الأطراف الاقليمية والدولية في الشأن العراقي لتنفيذ اجندتها الخاصة على حساب مصالح الشعب العراقي كله⁽¹⁰⁾.

(10) نفس المصدر.

المطلب الثاني: المحافظة على السلم الأهلي

ان السلم نقيض الحرب، ومن الصعب تعريفه إلا بإيراد ضده، ولقد عرف السلم بأنه فترة تفصل بين حربين، وهذا واقع حقيقي التصق بتاريخ الشعوب والدول، ومنذ أن نشأت الجماعات البشرية وتطورت حاجاتها وتضاربت مصالحها واختلفت على أماكن الرعي والصيد والإقامة، ولقد ساد الخوف والحذر المتبادل كل المجتمعات البشرية منذ القدم، فأنشأت ذلك بالسلطة والاقتصاص والملكية والحراسة والعهود والاتفاقيات⁽¹¹⁾، أن مفهوم السلم الأهلي، يتطلب على الصعيد المجتمعي الوطني، نزع العنف والإكراه، والقبول بالتنوع، والتعامل السلمي والحضاري مع المختلفين والمغايرين، وأن تنمية الرابطة الوطنية الحديثة، يتطلب جهوداً حثيثة صوب صياغة الواقع الوطني بعيداً عن العصبية، وإلغاء كل أشكال العنف والنبذ والتهميش من حقل السياسة والفكر والاجتماع⁽¹²⁾.

(11) فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، 2003، ص 114

(12) حازم القصورى، السلم الاهلي، الحوار المتمدن، العدد: 10، 2013/2/3999، الساعة 02:56. الموقع الالكتروني: <http://www.ahewar.org>.

قد كان للمرجعية الدينية العليا دور فاعل في المستويات العامة في العراق والتي تمثلت بتحريم الدم العراقي، والابتعاد عن القتل والانتقام للذان من شأنهما زرع بذور الحقد والكراهية بين أبناء الشعب العراقي، والحفاظ على الممتلكات الخاصة والعامة، فضلاً عن تحريم الاعتداء على مساجد المسلمين، وإعادة المساجد المغتصبة إلى أصحابها، وقد استمر منهج الوحدة الوطنية ملازماً لأغلب خطب وبيانات مرجعية وتأكيداً على الآتي⁽¹³⁾:

كان للمرجعية الدينية العليا دور فاعل في المستويات العامة في العراق والتي تمثلت بتحريم الدم العراقي، والابتعاد عن القتل والانتقام

(13) عبد المهدي الكربلائي، وكيل المرجع السيستاني، خطبة الجمعة، كربلاء المقدسة، 25/7/2014.

أ- الدفاع عن العراق وشعبه ووحدة أراضيه.

ب- الحفاظ على وحدة النسيج الاجتماعي.

ج- تعزيز قيم المحبة والتآلف والتماسك الاجتماعي.

إنطلاقاً من الثوابت والمبادئ - سالفه الذكر - اتخذ سماحة السيد السيستاني (دام ظله) منهجه في التعامل مع القضايا والأحداث واضعاً في أولوياته لهذه المرحلة الحساسة والحرجة التي يمر بها العراق المحافظة على السلم الأهلي بالتوجيه والتأثير المباشر لإبعاد كل ما من شأنه تهديد الأمن والسلم للمجتمع بكل مكوناته ، والحث على تهيئة الظروف اللازمة لترسيخ مبدأ الحوار وإحلاله محل التعنت والعنف، ومن ثم تحقيق السلم الأهلي والاستقرار المؤدي إلى التقدم والازدهار للبلد، وبعد ظهور بوادر الانفلات الأمني إثر غياب الضبط ومستلزماته نتيجة للفراغ الحاصل بعد دخول قوات الاحتلال في نيسان ٢٠٠٣م، سارعت المرجعية بإصدار التوجيهات والفتاوى التي تسهم بفاعلية في إشاعة الهدوء ومنها⁽¹⁴⁾:

أ. تحريم عمليات الانتقام الفردي من عناصر وأزلام النظام البائد، والدعوة إلى عدم ارتكاب ما يوجب هدر الدماء من دون اللجوء إلى المحاكم المختصة، ووجوب التريث لحين تشكيلها على أسس تحظى بالمشروعية اللازمة، وبهذا سدت الأبواب أمام المتآمرين والمغرضين.

ب منع التجاوز على الممتلكات العامة والاستحواذ عليها وسرقتها سواء أكانت من الأموال غير المنقولة مثل الأراضي والعقارات، أو من الأموال المنقولة مثل الأجهزة والمعدات والأثاث والعملات النقدية، وكذا الأسلحة من مراكز الجيش فقد أفتى السيد المرجع بعدم جواز نهب الأسلحة والتصرف بها، فهي وسائر الممتلكات العامة تبقى ملكاً عاماً للدولة ولا بد من تسليمها للجهات ذات الصلاحية، بل أكد سماحته ضرورة حصر السلاح بيد الأجهزة الأمنية للدولة وعدم تداوله وحمله من دون ترخيص رسمي، وأن توفير الأمن والاستقرار في كل مناطق البلد لا بد أن يكون بالاعتماد على القوات والأجهزة الأمنية الوطنية وليس على القوات الأجنبية، ولا على الأشخاص والجماعات المحلية خارج إطار القانون، ولذلك تظهر المرجعية حرصها الشديد على بناء أجهزة الشرطة ونحوها وتعزيزها بالعناصر

(14) حسام علي حسن، اثر المرجعية الدينية في الحفاظ على السلم الأهلي (السيد السيستاني نموذج)، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، الجامعة الإسلامية، العدد 66، 2022، ص 304.

الكفاءة ومدىها بالمعدات اللازمة لأداء وظائفها في توفير الحماية والأمن لكل فئات المجتمع العراقي.

ج. الرفض التام لما قام به بعض المحسوبين انتماء للمكون الشيعي بالتجاوز على بعض مساجد المكون السني واقتحامها وطرد أئمة الجماعة منها، فأصدرت المرجعية توجيهها بأن « هذا العمل مرفوض تماماً ولا بد من رفع التجاوز وتوفير الحماية لإمام الجماعة وإعادته إلى جامعته معزراً مكرماً.

د. الحث على حماية المواطنين المسيحيين وسائر أتباع الديانات الأخرى، وعبرت المرجعية العليا عن شجبها وإدانتها في كل مرة تتعرض له الكنائس المسيحية من اعتداءات وجرائم مروعة، مؤكدة وجوب احترام حقوق المواطنين كافة - بمختلف انتماءاتهم الدينية - في العيش بأمن وسلام في وطنهم العراق. ولم تدخر المرجعية العليا جهداً في الحث على ضرورة التعاون بين الأطراف جميعاً، الحكومية والشعبية، لوضع حد للاعتداءات التي تطال العراقيين كافة⁽¹⁵⁾.

المطلب الثالث: نبذ التعصب الطائفي

جسدت البيانات والفتاوي الشرعية التي اصدرتها المرجعية الدينية على محاربة الافكار المسيئة لمكونات المجتمع ونسيج الشعب والدعوة للتسامح والمحبة والألفة بين مكونات الشعب، وقد تجسدت دعوات المرجعية في الابتعاد عن النزعات الطائفية وتجنب اثاره الخلافات المذهبية، وحصرها في اطار البحث العلمي الرصين، وقد دعت المرجعية الى التسامح والمحبة والألفة بين مكونات الشعب لكونه شعباً واحداً بتنوعاته القومية والدينية والاجتماعية، وقد

(15) حسام علي حسن، اثر المرجعية الدينية في الحفاظ على السلم الأهلي (السيد السيستاني نموذج)، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، الجامعة الإسلامية، العدد 66، 2022، ص 304.

**جسدت البيانات والفتاوي
الشرعية التي اصدرتها
المرجعية الدينية على محاربة
الافكار المسيئة لمكونات
المجتمع ونسيج الشعب
والدعوة للتسامح**

كانت الجهود والدعوات الى الوحدة ونبذ الفرقة وتجاوز الصعاب بالحكمة وتطبيق القانون وتفعيل دور الدولة في المجتمع من اهم دعوات السيد السيستاني وترك تلك الخلافات التي مضى عليها قرون متطاولة و لا يبدو سبيلاً الى حلها بما يكون مرضياً ومقبولاً لدى

الجميع، فلا ينبغي إذا إثارة الجدل حولها خارج إطار البحث العلمي الرصين⁽¹⁶⁾.

(16) بيان مكتب سماحة السيد علي السيستاني (دام ظله) حول الوحدة الإسلامية وبند الفتنة الطائفية، الرابط:

<https://www.sistani.org/ar-org./1504/statement/abic>

(17) عاصم محمد ابراهيم ، دور المؤسسات غير الرسمية في ثنّع السياسات العامة 2010-2018، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد العلمين، النجف، 2019، ص72.

ويؤكد المرجع السيستاني إنّ المكون المسيحي هو جزء أصيل من الشعب العراقي، ونص ماقاله المرجع السيستاني بحق المسيح «أنتم جزء منا ونحن جزء منكم وأنتم في قلبنا ونحن متألمون لما يحصل منكم وللسنة والشيعا لان الكل مستهدفون» ولعل البعد الوطني ومبدأ المواطنة واضح من طروحات المرجع السيستاني الوحودية التي من خلالها يسعى للحفاظ على وحدة وتنوع النسيج العراقي⁽¹⁷⁾.

المبحث الثاني: الأفعال المعبرة عن التعايش السلمي خارجياً

حظيت مرجعية السيد السيستاني باهتمام بالغ وكبير من قبل المهتمين بشؤون المرجعية الدينية بل وكل المهتمين بالشأن الإسلامي منه على الأخص، ولاسيما أن المرجعية العليا آلت إليه في عصرنا الراهن وقد أحاطت بالعراق وشعبه ظروف عصيبة من جهات عدة وعلى الأصعدة المختلفة، فضلاً عن الظروف الإقليمية والعالمية بشكل عام، ولا يخفى على المتابعين أن أهم منعطف تاريخي مر به العراق في العقود الأخيرة هو التحول السياسي الذي حصل بعد احتلال قبل الأمريكان والمتحالفين معهم، بغية تغيير النظام السياسي في البلد، وقد تزامن مع هذا الحدث حصول فراغ أمني أدى إلى شيوع الفوضى و انتشار السلاح المنفلت مع غياب واضح للضبط القانوني بجهته التشريعية والتنفيذية، ناهيك عن تربص الجهات الخارجية سواء أكانت إقليمية أو دولية لانتهاز الوضع في تحقيق مصالحها ومآربها حتى ولو كانت على حساب وحدة النسيج المجتمعي للعراق زيادة على مخلفات مدة زمنية طويلة حملت في طياتها كثيراً من أسباب عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي⁽¹⁸⁾.

(18) حسام علي حسن، اثر المرجعية الدينية في الحفاظ على السلم الأهلي(السيد السيستاني نموذج)، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، العدد 66، 2022، ص297.

وكيل الأمين العام للأمم المتحدة «ميغيل أنخيل موراتينوس» المكلف بوضع «خطة عمل المنظمة الدولية لحماية المواقع الدينية»، بعد الهجمات التي تعرضت لها في أماكن مختلفة من العالم في السنوات الأخيرة، واستمع سماحته إلى الشرح الذي أدلى به المسؤول

اللاممي، في تلك «الخطئة» والمبادئ التي تركز عليها والإجراءات المتبعة بشأنها؛ إية الله السيستاني رداً على تصريحات الأخير، إلى أن «للمآسي التي يعاني منها العديد من الشعوب والفئات العرقية والاجتماعية في أماكن كثيرة من العالم نتيجة لما يمارس ضدها من الاضطهاد الفكري والديني وقمع الحريات الأساسية وغياب العدالة الاجتماعية، دوراً في بروز بعض الحركات المتطرفة التي تستخدم العنف الأعمى ضد المدنيين العزل وتعتدي على المراكز الدينية والمواقع الأثرية للآخرين المختلفين معها في الفكر أو العقيدة»⁽¹⁹⁾.

المطلب الأول: ارسال رسائل الى الخارج تعكس وحدة العراق

انبرت المرجعية العليا ومنذ الأيام الأولى لسقوط النظام السابق بالتحذير من التدخلات الأجنبية في الشأن العراقي الداخلي، لأنها تعلم ببصيرتها وقراءتها للأحداث وما تؤول إليها. ومن تلك التحذيرات على سبيل المثال لا الحصر⁽²⁰⁾:

1- في جواب لها على أحد أسئلة وكالة (الأسوشيتد برس) عام 2003م حول فيما لو كان الشيعة موحدون في العراق او لا فكان الجواب: (العراقيون بجميع طوائفهم ومذاهبهم من الشيعة وغيرهم، موحدون في المطالبة باحترام إرادتهم في تقرير مصيرهم ورفض أن يخطط الأجنبي لمستقبلهم السياسي أو الإقتصادي أو الإجتماعي أو الثقافي).

2- وفي جواب على سؤال من صحيفة (الواشنطن بوست) عام 2003م كان يسأل عن موقف المرجعية العليا تجاه التواجد الأميركي فكان الجواب: - (نشعر بقلق شديد تجاه أهدافهم ونرى ضرورة أن يفسحوا المجال للعراقيين بأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم من دون تدخل أجنبي).

3- وكان جوابها على أحد أسئلة (الأسوشيتد برس) عام 2003م أيضاً، والذي كان يسأل عن: (هل تحاول إيران أن تلعب دوراً سياسياً في العراق حالياً وهل حاول الإيرانيون الإتصال بكم)؟. فكان الجواب: - (يفترض بجميع الحكومات أن تحترم سيادة العراق وإرادة

(19) إية الله السيستاني يدعو لترويج ثقافة التعايش السلمي بين مختلف الأديان والاتجاهات الفكرية، وكالة الأنباء الإيرانية (ارنا)، الرابط: <https://ar.irna.ir/news/84964386>

(20) نجاح الربيعي، التدخلات الخارجية في العراق هاجس قلق عند السيد السيستاني، مقال: وكالة نون الخبرية، 2019، الرابط: <https://non14.net/117756>

شعبه ولا تتدخل في شؤونهم، وليس لدينا اتصال بأية جهة أجنبية فيما يخصّ الشأن العراقي).

المطلب الثاني: مد جسور التعاون

كان للمرجعية الدينية الدور الفاعل، في مد جسور التعاون مع ماتقوم به مكاتبه وماتعمل عليه المرجعية من اهداف سامية وقد كان لتقديم المساعدات الإنسانية للمناطق التي تعرضت لها تركيا وسوريا في لمدة الأخيرة دور فعال في مد جسور التعاون على الرغم من ان المساعدات الإنسانية لم تكن لأتباع المرجعية الدينية وانما لأشخاص بعضهم بعيد جدا عن المرجعية، سيما سوريا التي حظيت بمساعدة كبيرة سواء عن طريق معتمدي المرجعية الدينية او من مكاتب سماحة اية الله العظمى، ومن ابرز المواقف التي سطرها لنا سماحة السيد السيستاني البيان الذي ظهر بعد حدوث الزلزال المدمر، وكان بيانه كالآتي:

«بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

إن الزلزال الشديد الذي ضرب أخيراً مناطق واسعة من الأراضي التركية والسورية قد أسفر - كما تشير إليه المعلومات المتجددة - عن أعداد كبيرة من الضحايا والمصابين وخسائر مادية هائلة في المساكن والبنى التحتية، في كارثة انسانية قلّ نظيرها في العصر الأخير.

والمرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف إذ تعبّر عن مواساتها وتضامنها مع من فقدوا أعضائهم في هذه المأساة الكبيرة وتدعو الله تعالى لهم بالصبر والسلوان وللجرحى والمصابين بالشفاء والعافية، فإنها تأمل أن تتضافر جهود الجهات المعنية وعامة أهل الخير في سبيل توفير الاحتياجات الضرورية للمتضررين في أسرع وقت.

نسأل الله العليّ القدير أن يدفع البلاء عن الجميع وينعم عليهم بالخير والسلام إنه وليّ ذلك وهو أرحم الراحمين.

وأعرب مكتب السيستاني، عن أمله أن «تتضافر جهود الجهات المعنية وعامة أهل الخير، في سبيل توفير الاحتياجات الضرورية للمتضررين في أسرع وقت»⁽²¹⁾.

(21) مكتب السيد السيستاني (دام ظلّه) - النجف الاشرف»، 15- رجب - 1444هـ.

المطلب الثالث: التقريب بين المذاهب

وتقدم المؤسسة الدينية نموذجاً ناجحاً في تحقيق ذلك، الفاتيكان ومرجعية النجف مثلاً صادقاً لذلك، فمثلاً اعتبرت زيارة البابا فرانسيس إلى المرجع الديني السيد علي السيستاني، بمثابة إنجاز تاريخي لمرجعية النجف وقدراتها التواصلية، فضلاً عن اعتبارها زيارة نوعية مثلها البابا في مجال حوار الأديان والحضارات، والعلاقة بين المذاهب، كما عملت هذه الزيارة على تأطير التواصل بين الدولة العراقية والعالم، باعتبار العراق دولة تضم أديان وقوميات ومذاهب ومكونات متعددة، وفي الإطار العام، يعمل ذلك بشكل دبلوماسي على الصعيد العالمي على تدشين العلاقات والتواصل الحضاري بين الحكومات

اعتبرت زيارة البابا فرانسيس إلى المرجع الديني السيد علي السيستاني، بمثابة إنجاز تاريخي لمرجعية النجف وقدراتها التواصلية

الدينية وغير الدينية، والمسلمة وغير المسلمة، وبين التيارات الفكرية الحديثة التي تتوسع اليوم والتيارات الفكرية التقليدية المحافظة، وبين القواعد الشعبية المؤمنة وغير المؤمنة، وبين التيارات والأحزاب السياسية الإسلامية وغير الإسلامية، وتجسير الهوة بين الاصطفافات المتنوعة التي يشهدها العالم اليوم، بأقل كلفة وجهد⁽²²⁾.

المطلب الرابع: التقريب بين المذاهب الإسلامية

ان التقريب بين المذاهب الإسلامية فان سماحة السيد السيستاني وفي معرض اجابته عن سؤال لجريدة الزمان العراقية مفاده: «يكتسب الحوار بين المذاهب الإسلامية أهمية خاصة في التقريب بين وجهات نظر المسلمين حول العديد من القضايا فهل في نيتكم تبني مبادرة للحوار مع اهل السنة في العراق؟ ، يجيب سماحته بما نصه : «التواصل مع اخواننا اهل السنة قائم سواء عن طريق اللقاءات المباشرة ام غيرها ، ووجهات النظر بيننا وبينهم متطابقة او متقاربة في معظم القضايا الرئيسية والحوار هو الاسلوب الامثل لحل الخلاف ان وجد، ففي المجال التشريعي مثلاً نلاحظ أنَّ الاختلاف الفقهي بين الفقهاء من الواضح بمكان بحيث إنَّه يعد أمر طبيعي وضروري

(22) احمد عدنان الميالي، دور المرجعيات الدينية في المجال الدبلوماسي وإدارة الأزمات، مقال نشر على مركز البناء، بغداد، الرابط: <https://annabaa.org/arabic/authorsarticles/27460>

في الوقت نفسه، ويؤكد سماحته هذا المعنى في إجابته عن سؤال (لمجلة بولندا) الاسبوعية مفاده :

هل انتم مستعدون للتحوار والنقاش مع الفئات الاسلامية الاخرى؟ ، إذ يجيب سماحة السيد بما نصه: «لا توجد بيننا خلافات تذكر وإن وجدت فالحوار هو الاسلوب المتين للتقارب وحل المشاكل وضمن استفتاءات تقدم بها جمع من المؤمنين حول الوضع الراهن في العراق، تتعلق بوظيفة رجال الدين يؤكد سماحته على دور رجال الدين في بناء المجتمع وتوجيهه تجاه القيم الاسلامية النبيلة، والسعي للتقارب بين المذاهب الاسلامية ، وذلك من اجابة سماحته على هذا الاستفتاء بما نصه : « وظيفتهم في هذا الزمان كسائر الأزمنة، فيما يتعلق بالمجتمع من السعي في ترويج الشرع الحنيف ونشر احكامه وتعليم الجاهلين ونصح المؤمنين ووعظهم واصلاح ذات بينهم ونحو ذلك مما يرجع الى اصلاح وتكميل نفوسهم ، ولا شأن لهم بالأمور الادارية ونحوها.

اذ إنّ أن التعايش او العيش المشترك هو القضية المحورية في المجتمعات المتعددة وعليها يتوقف تحقيق السلم والاستقرار والازدهار وبها يرتبط مصير هذه المجتمعات والطوائف المكونة لها في آن معاً وان وجود المجتمعات التعددية واستمرارها رهن بالعيش المشترك ومدى ترسيخه كأساس لهذه المجتمعات المتعددة.

**أدت المرجعية الدينية في
النجف الاشرف ممثلة بسماحة
السيد السيستاني دوراً اصلاحياً
كبيراً في توجيه الخطاب الديني
المعتدل ومحاربة الخطاب
المتطرف**

وفي هذا السياق أدت المرجعية الدينية في النجف الاشرف ممثلة بسماحة السيد السيستاني دوراً اصلاحياً كبيراً في توجيه الخطاب الديني المعتدل ومحاربة الخطاب المتطرف متمثلاً في أعاد التشكيل الايديولوجي في برنامج التثقيف الديني

والسياسي، الذي يقوم اساساً على اتجاهات ومعتقدات دينية فكان ومازال دورها الريادي والواجب الشرعي الملقى على عاتقها هو إعادة رسم وتشكيل ثقافة المجتمع بعمليات واسعة، وبالتالي إعادة

تشكيل الصورة الدينية ومحاولة توجيه الفكر الإنساني والعمل باتجاه رغبة الفرد وارادته او عقله، إذ ان المرجعية الدينية في العراق تعد ظاهرة متقدمة وناضحة سواء على صعيد الخطاب الديني او على صعيد القيادة او على صعيد المواقف⁽²³⁾، وقد جاء حرص سماحة السيد على التعايش السلمي بين ابناء الامة الإسلامية وقيامها بنذ العنف والطائفية وغيرها وقد جاء في احد بياناته الصادرة من مكتبه الاتي:

(23) فاضل جواد، رؤية التقريب والتعايش المذهبي عند السيد السيستاني، مجلة اداب الكوفة، جامعة الكوفة، عدد 52، 2022، ص294.

"كما إنّ ان الأمة الاسلامية تمر بظروف عصيبة وتواجه أزمات كبرى وتحديات هائلة تمسّ حاضرها و تهدّد مستقبلها ، ويدرك الجميع، والحال هذه مدى الحاجة الى رصّ الصفوف ونبد الفرقة والابتعاد عن النعرات الطائفية والتجنّب عن إثارة الخلافات المذهبية، تلك الخلافات التي مضى عليها قرون متطاولة لا يبدو سبيل الى حلها بما يكون مرضيا ومقبولاً لدى الجميع ، فلا ينبغي اذاً إثارة الجدل حولها خارج إطار البحث العلمي الرصين ، ولا سيما انها لا تمسّ أصول الدين و اركان العقيدة ، فان الجميع يؤمنون بالله الواحد الأحد و برسالة النبي المصطفى " صلى الله عليه وآله وسلم" بالمعاد و بكون القرآن الكريم، فهذه المشتركات هي الاساس القويم للوحدة الاسلامية ، فلا بدّ من التركيز عليها لتوثيق أواصر المحبة و المودة بين أبناء هذه الأمة ، ولا أقل من العمل على التعايش السلمي بينهم مبنياً على الاحترام المتبادل وبعيداً عن المشاحنات والمهاترات المذهبية والطائفية أيّاً كانت عناوينها"⁽²⁴⁾.

(24) بيان مكتب سماحة السيد (دام ظله) حول الوحدة الاسلامية ونبذ الفتنة الطائفية، ١٤ محرم 2007

إنّ الوحدة الإسلامية لم تكن متوقفة عند حد معين وانما عملت المرجعية على النشاط المعرفي الكبير لمرجعية السيد السيستاني عن طريق وكلائه المنتشرين في بقاع الأرض لم يقف عند حد معين ، ولم يكن بمنأى عن تطلعات العصر في التجديد والأصالة لأنه لا بد للقيم السماوية أن تسود في هذا المجتمع ، ولا بد للمفاهيم الرسالية أن توطد جذورها في الأرض ، ولا بد للصرح الإسلامي من الشموخ في ذروة ساحقة ، وقمة صاعدة ، وإذا كان الأمر كذلك ، وهو كذلك،

فلا بد من إخضاع وسائل التقنية المعاصرة لفعاليات المعرفة ونشر الوعي الديني والثقافي ومن هذا المبدأ الأصيل انطلق وكلاء السيد السيستاني في وفقاً لتوجيهاته السديدة بإنشاء مراكز معرفية كثيرة تعني بشتى العلوم الإسلامية⁽²⁵⁾.

(25) علاوي صاحب، الدولة المدنية عند السيد السيستاني، مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، 2011، ص 6_7.

ويعد البيان الصحافي الذي أصدره مكتب المرجع الديني الكبير سماحة السيد علي السيستاني عن أوضاع العراق والمنطقة من أهم البيانات التي صدرت من قبل المرجعية العليا في العراق، والتي أجد نفسي مرغماً على التوقف عندها، نظراً إلى ما حوته من خطاب وحدوي وعصري مستنير تسوده لغة التسامح، قل نظيره هذه الأيام⁽²⁶⁾، والذي جاء فيه:

(26) نصير المجالي، السيد السيستاني والوحدة الإسلامية، مقال نشر على الرابط: <https://ar.shafaqna.com>

«أن بعض الأشخاص و الجهات يعملون على العكس من ذلك تماماً و يسعون لتكريس الفرقة و الانقسام و تعميق هوة الخلافات الطائفية بين المسلمين، و قد زادوا من جهودهم في الآونة الأخيرة بعد تصاعد الصراعات السياسية في المنطقة و اشتداد النزاع على السلطة و النفوذ فيها ، فقد جدّوا في محاولاتهم لاثارة الفروقات المذهبية و نشرها بل و الاضافة عليها من عند أنفسهم مستخدمين أساليب الدسّ و البهتان لتحقيق ما يصبون اليه من الاساءة الى مذهب معين و التنقيص من حقوق أتباعه و تخويف الآخرين منهم»⁽²⁷⁾.

(27) بيان المرجعية الدينية حول الوحدة الإسلامية ونبذ الفتنة الطائفية، مكتب سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني، الرابط: <https://www.sistani.org/arabic/statement/1504>

من خلال ماتقدم يتضح ان دور المرجعية الدينية مثل انعكاس لمجموعة من الأدوار الداخلية، التي رأيناها على المستوى الخارجية، وهذا ما مثل نتاج عملي للجهود الكبيرة التي تقوم بها المرجعية، لذا ان تقديم المساعدات الإنسانية من الممكن ان يعود للعراق بالكثير في ظل الظروف العصيبة التي تعيشها الدول المجاورة، كما ان زيارة البابا كانت نتاج حقيقي لواقعية السيد السيستاني وتأكيده على التعايش السلمي، والذي من الممكن ان تنعكس هذه الزيارة على الواقع الاقتصادي للبلد، بفعل تنامي السياحة داخل البلد وغيرها.

الخاتمة

مما تقدم إنَّ التعايش السلمي يمثل موضوعاً أسمى تسعى لتحقيقه معظم البشرية، إلا أن هذا التحقيق في معظم الأحيان يكون بحاجة إلى شخصية ملهمة وقادرة على قيادة المجتمع ليعم التعايش السلمي من خلالها، وقد توصلنا إلى عدة استنتاجات هي كالآتي:

1. إنَّ التعايش السلمي هدف مهم تسعى البلدان إلى الوصول إليه من عدد من الآليات المتبعة، بتكاتف جهود الجميع، ويحصل هذا التعايش عندما تتوفر إرادة بين البلدان.

2. بقدر تعلق الموضوع بسماحة السيد علي السيستاني، إذ إنَّ التعايش السلمي الذي انطلقت فيه المرجعية الدينية، كان يستند إلى مجموعة من التجارب التي تعرض لها البلد، لاسيما في المدة بعد عام 2003.

3. أن التعايش السلمي الذي ارتكزت عليه المرجعية، عبر عنه داخلياً من الكثير من الخط والاستفتاءات الشرعية للمرجعية الدينية.

4. أسهمت المرجعية الدينية في اندماج المجتمع العراقي، وحتى في وقت انفصال إقليم كردستان عام 2017 عبرت المرجعية عن لسان ممثلها (أحمد الصافي) بالاحتكام إلى الدستور وجعله الفيصل.

5. عملت المرجعية الدينية على نبذ التفرقة والتعصب بين الأفراد والطوائف والقوميات، وأرسلت رسائل كثيرة بعدم التفريق بين عربي وكرد وغيرهما من الطوائف.

6. كان للمرجعية دور كبير على مستوى الدول المحيطة بالعراق، وهذا الدور تمثل في إيصال رسالة عن إمكانيات العراق وأمنه وأمانه.

7. كانت لزبارة بابا الفاتيكان أثر كبير، ونتاج حقيقي تمثل في انعكاس الأحداث الداخلية والأفعال التي قامت بها المرجعية الدينية بعد عام 2003.

8. كان للمرجعية الدور الكبير في المحافظة على الوحدة الإسلامية ونبذ الفرقة من المراكز التي أنشأتها أو من ممثليها ومكاتبها في الدول.

9. أن المرجعية جعلت لها أثراً كبيراً في نفوس أبناء البلدان الجارة والمساعدات المادية وغير المادية التي أرسلتها لهم في أوقات المحن (الزلازل).

**إنَّ التعايش السلمي هدف
مهم تسعى البلدان إلى
الوصول إليه من عدد من الآليات
المتبعة**